ثم اشار الى من بالغ فى ترجيح جنابه لقوة ايمانه فقال الذين استجابوا دعوة الله
ورسوله الى الخروج فى طلب ابى سفيان وقومه مرجحين لله والرسول على انفسهم
لانهم اجابوهما من بعد ما اصابهم القرح اذ قصد العود اليهم لاستيصالهم حين
بلغ الروحاء فقال لقومه لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا
لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلعم
فندب اصحابه للخروج فى طلبه ارهابا له فخرج معه سبعون رجلا حتى بلغوا حمراء
الاسد فمر به معبد الخزاعى وكان يومئذ مشركا فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما
اصابك فى اصحابك ثم خرج فلقى ابا سفيان بالروحاء فقال وما وراءك يا معبد
قال محمد قد خرج فى اصحابه لطلبكم فى جمع لم ار مثلهم يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع
معه من كان تخلف عنه وندموا على صنيعهم قال ويلك ما تقول قال والله ما اراك
ترتحل حين ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصل بقيتهم
قال فانى والله انهاك عن ذلك فالقى الله الرعب فى قلوبهم فرجعوا للذين احسنوا نظروا
الى الله لا الى نسبتهم الى الشجاعة وقوة الايمان منهم واتقوا اعتبار الخلق اليهم اجر عظيم
لا ينقص عن اجر الشهداء بل لعله يزيد عليه وهؤلاء هم الذين قال لهم الناس اى الركب
المستقبل لهم ان الناس ابا سفيان واصحابه قد جمعوا انفسهم وقصدهم لكم اى لاستيصالكم
فاخشوهم ولا تتخلصون منهم الا بالرجوع الى دينهم فزادهم قولهم ايمانا بان الله هو
القاهر المحيى المميت وقالوا حسبنا اى كافينا الله من غير عدة لنا ولا عدد و
كيف لا يكفينا وقد وكلنا ونعم الوكيل هو فارهب الله عدوهم فانقلبوا اى رجعوا
من حمراء الاسد بنعمة من الله هى الغلبة وكمال الشجاعة وزيادة الايمان والتصلب
فى الدين وفضل هو ربح تجارتهم فى الطريق لم يمسسهم سوء اذ لم يلقوا عدوا وانما
كان لهم ذلك لانهم اتبعوا رضوان الله فارضيهم وتفضل عليهم فوق ما استحقوه والله
ذو فضل عظيم فلا ينحصر فضله فيما اعطاهم ثم اشار الى انه لما كان منشا هذه الفضائل
فلا مانع منه سوى الشيطان فقال انما ذلكم القائل ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
هو الشيطان جاء يخوفكم وهو انما يخوف اولياءه من غير الله دون الله
فلا تخافوهم وان رايتم لهم قوة وعدة وعددا وخافون ان توافقوا اعدائى
فتزول قوتهم دون قوتى ان كنتم مؤمنين بعظم شانى وعموم قدرتى ونفاذه دون
قدرتهم ولا يحزنك فضلا عن الخوف معاونة المنافقين للكفار لا لحقية دينهم بل

لانهم

٨١

لانهم الذين يسارعون فى اظهار الكفر لصعوبة اخفائه عليهم انهم وان كانوا
اعداء من داخل لن يضروا اولياء الله لانهم يحميهم الله فلو اضروهم لاضروا الله
بتعجيزهم اياه عن حمايتهم ولا يمكنهم ان يعجزوه شيئا بل يريد الله ان يضرهم الضر الكلى وهو
ان لا يجعل لهم حظا فى الاخرة مع غاية سعة رحمته ولا يبالى لما جعل لهم من حقن الدماء نحو الدنيا
والاموال ولا يقتصر على حرمانهم بل لهم مع ايمانهم الظاهر عذاب عظيم اعظم من
عذاب من يظهر كفره ثم اشار الى انه كما لا يضر المنافقون اولياء الله لا يضر
المرتدون دين الله فقال ان الذين اشتروا اى استبدلوا الكفر بالايمان عند
رويتهم هزيمة المسلمين باحد لن يضروا دين الله الذى يريد مع ايقاع الهزيمة
تارة والنصر اخرى اظهاره فلو اضروه لاضروا الله فى ارادته لكن لا يمكن
اضراره فى ارادته شيئا وانما يضرون انفسهم فى الدارين اذ لهم عذاب اليم
لذنابة اعدائهم وشدة عذاب انفسهم فى الاخرة ونقصهم مجبور بما لا ينحصر
الى يوم القيمة ولو قيل كيف يكون للمرتدين العذاب الاليم فى الدارين وقد املى لهم
تعالى عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا من المرتدين وغيرهم انما نملى لهم اى امهالنا
لهم خير لانفسهم بل هو سبب مزيد عذابهم لانه انما نملى لهم ليزدادوا اثما فيزدادوا
عذابا فكانه نفس العذاب بل زيادة فيه وقد ينجز من عذابهم انهم بالاثم مهانون
وان لا يبالوا له فى الدنيا لكن يبالون له فى الاخرة اذ لهم عذاب مهين فى اسفل
دركات النار ثم اشار الى ان هزيمة المؤمنين ليست من اثامهم حتى يكون عذابا
مهينا لهم بل سببا كمالهم اذ تميزوا بها عن المنافقين فقال ما كان الله ليذر اى ليترك
المؤمنين على ما انتم عليه من الالتباس بالمنافقين بل لا يزال يبتليكم حتى يميز المنافق
الخبيث من المؤمن الطيب ولا يميز الا بهذا الابتلاء لانه ما كان الله ليطلعكم على ما
فى قلوب الخلق من الايمان والكفر لانه اطلاع على الغيب اذ به تصير الكل مجتبى و
لكن الله يجتبى من رسله من يشاء باطلاعه عليه ليدل على اجتبائه ليقتدى به غيره
فامنوا بالله الذى يميز بينهما فى الدنيا ليدل على تميزه بينهما فى الاخرة ورسله الذى
اجتباهم للاقتداء بهم فى الاعتقادات والاعمال اذ ليس ذلك على سبيل العبث بل
ان تومنوا فتصحح الاعتقادات وتتقوا فتصلح الاعمال فلكم لا لغيركم اجر عظيم لا ينتفع به
يكفى به تمييزا عن المنافقين لو لم يكن لهم مع فواته عذاب ثم اشار الى ان حسبان الكفار
املاءهم خيرا كحسبان البخلاء بقاء اموالهم خيرا من انفاقها فى سبيل الله فقال ولا

Copyright © King Saud University